

## تفسير سورة التوبه (5-6)

### تفسير سورة التوبه (5-6)

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوهُمْ لَهُمْ كُلُّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخُلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (5)

{فَإِذَا انْسَلَخَ} انقضى ومضى {الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} هي أشهر التسيير الأربع المخصوص عليها فيما تقدم في قوله تعالى {فَسَيِّحُوا فِي أَلْأَرْضِ أَرْبَعَةً أَشْهُرٍ} وقيل لها حرم؛ لأن الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين وال تعرض لهم أي إذا انقضت ومضت الأشهر الأربع التي حرمها عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} فاقتلو المشركين أينما وجدتموه من الأرض، قال ابن كثير: هذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: {وَلَلَا تُقْتَلُوهُمْ} عند أَلْمَسِ؟ جَدِ أَلْ حَرَامٌ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ؟ فِيهِ؟ فَإِنْ قُتْلُوكُمْ؟ فَأَقْتُلُوهُمْ؟} {وَخُذُوهُمْ} وَأَسْرُوهُمْ {وَاحْصِرُوهُمْ} قال السعدي: أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهם يتسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها الله معبداً لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلاً لسكنها، ولا يستحقون منها شبراً؛ لأن

الأرض أرضُ اللهِ، وَهُمْ أَعْداؤهُ الْمُنَابِذُونَ لَهُ وَلِرَسْلِهِ،  
 الْمُحَارِبُونَ، الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُخْلُوَ الْأَرْضَ مِنْ دِينِهِ،  
 {وَيَا بَنِي آدَمَ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ أَهْلُ كُفُرٍ}  
 {وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} أي: على كل طريق، والممرصده  
 الموضع الذي يراقب فيه العدو، من رصدت الشيء أرصده  
 إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رصداً لتأخذوهم من أي وجه  
 توجهوا.

قال ابن كثير: أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل  
 أقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في  
 طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم  
 إلى القتل أو الإسلام، ولهذا قال: {فَإِنْ تَابُوا} من الشرك  
 {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ} يقول دعوهם  
 فليتصرفوا في أمصارهم {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لمن تاب {رَحِيمٌ}  
 به.

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ  
 اللَّهِ ثُمَّ أُبْلِغْهُ مَا مَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَلَا يَعْلَمُونَ (6)}

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم {وَإِنْ أَحَدٌ  
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم {اسْتَجَارَكَ} أي:  
 استأمرك، أي طلب الدخول في جوارك يعين في حمايتك  
 {فَأَجِرْهُ} فأجبه إلى طلبه وأمنه {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} أي  
 إلى أن يسمع القرآن، أو كي يسمع القرآن فتقام عليه الحجة،

قال أئمة السلف: حتى يسمع القرآن {ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ} أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه {ذَلِكَ بِإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} أي: لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله.

وقال ابن كثير: أي: إنما شرعنَا أماناً مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده. انتهى

احتج أئمة السلف رضي الله عنهم بهذه الآية على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال الإمام أحمد: قال الله في كتابه: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأُجْرِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبية: 6] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي من جبريل عليهما السلام، وسمعه أصحاب النبي من النبي عليه السلام، والقرآن كلام الله غير مخلوق، ولا شك ولا نرتاب فيه، وأسماء الله في القرآن وصفاته في القرآن من علم الله وصفاته منه، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فقد كنا نهاب الكلام في هذا، حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا، وقالوا ما قالوا، دعوا الناس إلى ما دعوه إلينا، فبيان لنا أمرهم وهو الكفر بالله العظيم. انتهى

وقال يعقوب الدورقي: قلت للأحمد بن حنبل: هؤلاء الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق؟ فقال: "القرآن على أي جهة"

مَا كَانَ لَلَا يَكُونُ مَخْلُوقًا أَبَدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأُجْرِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبية: 6]، وَلَمْ يَقُلْ: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَكَ يَا مُحَمَّدُ" ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا يَدْوِرُ هَؤُلَاءِ عَلَى الْلَّابِطَالِ وَالْتَّعْطِيلِ، قَالَ: «نَعَمْ»، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ».»